الأستاذ : عبد الفتاح عبادة

السنة: أولى ليسانس جدع مشترك

المقياس: مصادر اللغة و الأدب

الفوج : 6 و 10 و 14

أمهات الكتب الأدبية

أولا: تمهيد:

مع بزوغ شمس القرن الثالث للهجري بدأت تنضج حركة التأليف الأدبي من خلال ظهور الجاحظ رائد التأليف في الأدب بمعناه الواسع، وذلك من خلال مؤلّفاته الموسوعية: «الحيوان»، «البيان والتبيين». ثمّ توالت بعد ذلك المؤلفات الأدبية العامة في هذا القرن، حيث كان هناك «الكامل» للمبرد، و«عيون الأخبار» و«أدب الكاتب» لابن قتيبة.

ولمّا كان القرن الرابع الهجري اتسع نطاق التأليف في هذا المجال. ومن أشهر مؤلّفات هذا القرن: «العقد الفريد» لابن عبد ربّه، و«الأمالي» للقالي. وقد قال ابن خلدون في شأن هذه المرحلة: "إنّ أصول هذا الفن وأركانه أربعة: «أدب الكاتب» لابن قتيبة، «الكامل» للمبرد، «البيان والتبيين» للجاحظ، و«الأمالي» لأبي علي القالي، وما سوى ذلك فتبّع لها، وفروع عنها". وهكذا فقد سار التأليف الأدبي بعد ذلك نحو تقليد الأعمال السابقة، نذكر من ذلك «أمالي» السيد المرتضي (ت436هـ)، «أمالي» ابن الشجري (542هـ)، «زهرة الآداب» الحصري.

وقد عرفت حركة الإحياء في العصر المملوكي تأليف مجموعات أدبية عامة تتميّز عن مثيلاتها العبّاسية بحسن التبويب والتصنيف، بعد أن كانت ظاهرة الاستطراد سائدة بشكل أو بآخر في مؤلّفات العصر العبّاسي. ومن أهمّ هذه المصنّفات: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري، «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي.

ثانيا: أهمّ المجاميع الأدبية العامة

1- **الحيوان:** مؤلّفه هو أبو عثمان الجاحظ. ويعدّ هذا الكتاب من أمّهات الكتب، فهو أوّل كتاب عربي جامع يتناول موضوع الحيوان بالبحث والدراسة، حيث راح الجاحظ يتتبّع ما في حياة الحيوان من الحجج على حكمة الله العجيبة وقدرته النادرة. غير أنّ طبيعة المنهج الّذي ينهجه الجاحظ في كتاباته جعلته لا يربط نفسه بهذا الجانب فقط، وإنّما تراه يتشعّب في حديثه حتّى يكاد يطرق كثيرا من العلوم والمعارف. فإذا الكتاب موسوعة أدبية وثقافية عامة جمع فيه صاحبه كثير من المعارف الدينية والأدبية والبلاغية والنقدية الطبيعية والفلسفية والطبية والتاريخية والجغرافية، معرجّا على عادات العرب وأحوالهم وسياساتهم، مدبّجا ذلك بالعديد من الأشعار والأمثال والنوادر.

2- **البيان والتبيين:** صاحبه هو أبو عثمان **الجاحظ**، وقد ألّفه في أواخر حياته بعد تأليف كتاب الحيوان، ومن الصعوبة تحديد موضوعات الكتاب نظرا لأنّ الجاحظ يعتمد كغيره من علماء ذلك الزّمان على الاستطراد. بيد أنّنا يمكن أن حدّد للكتاب بابين كبيرين؛ باب الكلام الّذي يندرج تحته كلّ ما يتعلّق باللسان ومخارجه واختلاف طرق الأداء واللحن، والفصاحة، وباب البلاغة الّذي تشتمل تعريفاتها وما يتعلق بها، وذكر للخطابة وآدابها وشروطها وأصحابها وعلومها. وبين تضاعيف البابين مباحث عدّة كتراجم الأعلام من الشعراء والخطباء وغيرهم، وعقد الموازنات بين الشعراء والخطباء، والعديد من القضايا النقدية.

3- الكامل في اللغة والأدب: مؤلّفه هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف **بالمبرد**. ويشتمل الكتاب عل أبواب وكلّ باب على أكثر من موضوع، ما عدا بعض الأبواب التي يعقدها لمعالجة نوع واحد من الأخبار أو المختارات المتنوعة من غير ترتيب أو تنسيق مع استطرادات لا علاقة له بالفكرة الرئيسية للباب. وقد كانت اللغة والنحو وقضاياهما هي السّمة الواضحة في الكتاب فهو موسوعة لغوية كبيرة. كما أخذت البلاغة حقّها في الكتاب. اشتمل الكتاب على أخبار تاريخية هامة، وقدر وافر من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والكثير من الأمثال والخطب والكثير من أشعار العرب الجميلة وأخبارهم.

4- عيون الأخبار: مؤلّفه هو أبو محمد بن قتيبة **الدّينوري**، وقد قسم كتابه عشرة أبواب، تدور حول موضوعات لا ينقصها التكامل. والكتب هي: السلطان، الحرب، السُّؤْدد، الطبائع والأخلاق المذمومة، العلم، الزهد، الإخوان، الحوائج، الطعام، النساء. وقد لقي الكتاب انتشاراً وقبولاً لدى القدماء، فرجعوا إليه ونقلوا عنه، وقد ألح ابن عبد ربه بصورة خاصة على «عيون الأخبار»، فأكثر الأخذ عنه حتى أن بعض أبواب العقد نُسخا من الكتاب.

5- كتاب العقد الفريد: مؤلّفه هو أحمد بن محمد بن عبدربه، وقد قسمه إلى 25 كتاباً، وسمّى كل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد حيث تخيّله على شكل عقد والعقد كما نعلم يتألف من جانبين فجعل في كل جانب جوهرة تقابلها في الجانب الآخر جوهرة بنفس المسمى لكنها تختلف عن الأولى بزيادة الثانية وفي مجالها أيضاً ففي العقد لؤلؤتان وزبرجدتان وزمردتان وهكذا، أما واسطة العقد فأسماها الواسطة دون أن يميزها باسم جوهرة ذلك أنها تتوسط العقد فجعلها متميزة عنه. وقد جاءت جواهر العقد كالتالي: السلطان، الحروب، الأجواد والأصفاد، الوفود، مخاطبة الملوك، العلم والأدب، الأمثال، المواعظ والزهد، التعازي والمراثي، النسب وفضائل العرب، كلام الأعراب، الأجوبة، الخطب، التوقيعات والفصول وأخبار الكتبة، الخلفاء وتواريخهم وأيامهم، أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة، أيام العرب ووقائعهم، فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه، أعاريض الشعر وعلل القوافي، علم الألحان واختلاف الناس فيه، النساء وصفاتهن، المتنبئين والمحرّرين والبخلاء والطفيليين، طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان، الطعام والشراب، الفكاهات والملح.

6- كتاب الأمالي: مؤلّفه أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي. وهو من أمهات كتب الأدب العربي، وقد ذكر القالي في مقدمته أسباب تأليفه للكتاب، والكيفية الّتي وضعه بها، وأهمّ ما تطرّق إليه. وقد قُسِّمه إلى مطالب، وخصّ كلّ مطلب بموضوع واحد، وتطول المطالب وتقصر، فتأتي بحسب ما يحتاجه المطلب من إيضاح أو بيان، فترى مطلبًا لم يبلغ الصفحة الواحدة، وآخر تجاوز 03 أو 04 صفحات. ويحتوي كتاب الأمالي شأن الكتب العامة على روايات أدبية متنوّعة؛ فيها الشعر والأخبار والخطب والأحاديث النبوية والآيات القرآنية.

7- كتاب الأغاني: مؤلّفه هو أبو الفرج الأصبهاني (284- 356هـ) (897- 966م)، والكتاب عبارة عن موسوعة عامة جمع فيها صاحبها ثقافة عصره بجميع جوانبها، حيث ضمّ بين دفتيه المئات من الشعراء والمغنّين وأخبار العامة والخاصّة، فهو أجمع الكتب في باب التراجم، وفيه أخبار الخلفاء والملوك والقواد، ومن نبغ من أولادهم في الشعر والغناء، وفيه محاسن ما قيل من الشعر في الجاهلية والإسلام، وما قيل في العصر

العبّاسي، وفيه وصف لمآكل العرب ومشاربهم، وزواجهم وطلاقهم، ونواديهم وملاعبهم، وحاناتهم والمتردّدين عليها من القصّاصين والمضحكين وسائر أحوالهم.

8- كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب: صاحبه هو شهاب الدين أحمد النويري (677- 733هـ) (1278-1332م). يمثل هذا الكتاب موسوعة لمعارف المسلمين في شتّى ميادينهم حتى أواسط القرن 08هـ (أواخر القرن 13م). وهو كتاب ضخم يقع في 32 جزءا قسّمه النويري إلى 05 موسوعات أساسية سمّها فنونا، وجعل كلّ فنّ منها في خمسة أقسام فرعية سمّى كلّ قسم منها بابا. والفنون الخمسة هي: الأول: في السّماء والآثار العلوية، والأرض والآثار السفلية، والثاني: في الإنسان، والثالث: في النبات، والرابع: في الحيوان، والخامس: في التاريخ.

ثالثا: أمهات أخرى:

يمكننا القول أنّ هذه هي أهم أمهات الكتب الأدبية في تراثنا الأدبي القديم. وتبقى المكتبة العربية القديمة زاخرة بالكثير من هذه المؤلفات منها: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي الفرج الأصبهاني، خزانة الأدب وغاية الأدب لتقي الدين أبي بكر علي الحموي، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني[1]، زهر الآداب وثمرة الألباب لأبي إسحاق ابرهيم بن علي القيرواني الحصري (453هـ) (04 ج)، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف لأبي الفتح الأبشيهي، وغيرها

[1]- ويعد أحد أقدم الكتب الأندلسية ظهورا للنور، وهو موسوعة تاريخية مهمة في دراسة التاريخ والأدب والجغرافيا الخاصة بالأندلس. وجاء الكتاب على جزأين، جزء يتحدث عن الأندلس والمدن الأندلسية وسكانها، ووصف مناخها وتوضيح مساحتها وتحديد أراضيها وأول من سكنها، ووصف سكان الأندلس وحبهم للعلم والأدب وسلوكياتهم وخصوصياتهم الاجتماعية، والشأو البعيد الذي بلغوه في مجال العلوم والآداب. والجزء الآخر عن أخبار الوزير ابن الخطيب.

مصادر النقد العربي

ظهرت بعض ملامح الدرس النقدي العربي في العصر الجاهلي، حيث كان الشعراء يمتهنون حرفة النقد، فيميزون بين جيّد الشعر ورديئه. ثمّ ما لبثت الملاحظات النقدية تنمو وتتطوّر في العصر الإسلامي بفضل القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ. وفي العصر الأموي بدأت تتبرعم صورة النقد العربي من خلال تعدد الملاحظات وتنوّعها جراء التطوّر الكبير الذي شهدته الساحة الثقافية آنذاك.

ولا نكاد نصل إلى العصر العباسي حتّى نجد أنّ الملاحظات النقدية قد اتّسعت بسبب تطوّر الحياة العقلية والحضارية وامتزاج الثقافات. ولم يعد النقد الأدبي في هذه الفترة مجرّد أحكام تورد هنا أو هناك، بل أخذ مكانه في منظومة التأليف العربي بوصفها فعلا ثقافيا وحضاريا، حيث بدأت تظهر أولى مصادر النقد الأدبي. ولعلّ أهم مصادر النقد الأدبي هي:

1- **طبقات فحول[1] الشعراء: مؤلّفه ابن سلاّم الجمحي:** ويعدّ الكتاب أول مصادر النقد العربي، حيث ألّفه الجمحي منذ القرن الثاني الهجري، تزيد صفحات الكتاب 850، قسّمه صاحبه إلى أربعة أجزاء. يغلب عليها الطابع النقديّ، ويظهر ذلك جليًّا بدءًا من أُولى صفحاته، فقد تعرّض الجمحي لجملة من القضايا أبرزها قضية انتحال الشعر وتصنيف الشعراء، حيث ناقش مسألة الشعر الموضوع من منظور عقلي، ولم يتردد في انتقاد مشاهير الرُّواة، ودعا إلى ضرورة تنقية التراث الشعريّ من الزّيف ومن الشعر المنحول الذي نسبه بعض الشعراء والرّواة – كذبًا – إلى شعراء الجاهلية، وهو ليس من الجاهلية في شيء. كما حدد القواعد التي اتبعها لتصنيف الشعراء ولتفضيلاته الشعرية، فصنّف طبقات الشعراء على ثلاثة مقاييس كانت هي مرجعه للمفاضلة بينهم وهي: الكَمّ أي كثرة شعر الشاعر، تعدد أغراضه، جودة شعره. وقد قام محمود محمّد شاكر بتحقيق الكتاب وطبع في طبعة جيّدة في دار المعارف بالقاهرة سنة 1953م.

2- **الشعراء والشعراء) لابن قتيبة:** وهو من مصادر النقد الأولى، مكوّن من جزئين في مجلدين، ويضمّ مقدمة نقدية يعدُّها الباحثون من بواكير النقد الأدبي. وهي مقدمة قيّمة "نفيسة تدلّ على عبقرية ابن قتيبة وقوة شخصيته وحرية فكره وآرائه القيمة في النقد، وفطنته للمقاييس الفنية، والقيم الجمالية منذ ذلك الوقت المبكر". وقد ذكر في هذه المقدمة منهج الكتاب والغرض من تأليفه حيث يقول: "هذا كتاب ألّفته في الشعر، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطاء في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون. وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها". وقد تحدّث في هذه المقدمة على عديد القضايا النقدية، أهمها: القديم والحديث، اللفظ والمعنى، الموهبة الشعرية، التقليد والاحتذاء، إثارة الإبداع، خلود الشعر، الضرورات الشعرية، أولية الشعر. ويعدّ محمود شاكر أشهر من حقّق هذا الكتاب هو أحمد محمد شاكر.

---

[1] . وقد قيل أن كلمة "فحول" دخيلة على اسم الكتاب وأن اسمه " طبقات الشعراء " فقط.

3- **البديع لابن المعتزّ:** يعتبر من الكتب الّتي شكّلت منعرجا حاسما، ونقطة تحوّل في تاريخ الدراسات النقدية البلاغية، وعلامة بارزة في مسار النظرية الأدبية عند العرب[2]. وترجع أهمّية هذا المؤلّف إلى أنّه قد تميّز عمّا سبقه بالتنظيم المحكم، في الطرح والتبويب والتأصيل؛ حيث ساعد- حسب محمّد مندور- على خلق النقد المنهجي من خلال تحديد ابن المعتزّ "لخصائص مذهب البديع، ووضعه اصطلاحات لتلك الخصائص، وعنه أخذ من جاء بعده"[3]. وقد عمد ابن المعتزّ في مستهل كتابه إلى التأكيد على أنّ فنّ البديع ليس من اختراع الشعراء المحدثين أمثال بشار وأبي نواس وأبي تمّام، وإنّما كان موجودا من قبل في القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ وأشعار المتقدّمين. وعليه فإنّ اشتهارهم بهذا الفنّ لهو دليل على أنّه كان معروفا عند من سبقهم، فلمّا كثر عندهم عُرفوا به[4]. وقد قسم ابن المعتزّ فنّ البديع إلى خمسة أقسام هي الاستعارة والتجنيس والمطابقة أو الطباق وردّ الإعجاز على ما تقدّمها والمذهب الكلامي.

4- نقد الشعر: مؤلفه هو قدامة بن جعفر، ويعدّ هذا الكتاب من الكتب النقدية العربية الهامّة الّتي سعى فيها صاحبها إلى تأسيس ما يسمّى بـ علم الشعر، حيث يرى أنّ العلم بالشعر يتّخذ أقساما عدّة، فقسم يُنسب إلى علم عروضه وأوزانه، وقسم يُنسب إلى علم قوافيه ومقاطعه، وقسم يُنسب إلى علم غريبه ولغته، وقسم يُنسب إلى علم معانيه ومقاصده، وقسم يُنسب إلى علم جيّده ورديئه"[5]. ويرى أنّ الأقسام الأربعة الأولى قد أخذت حقّها من العناية من قبل الدراسين، غير أنّ القسم الخامس لم ينل حظّه من المدارسة والإبانة. ومن هذا المنطلق كان سعيه في هذا الكتاب هو تحديد جيّد الشعر من رديئه، حيث يحدّد للشعر أربعة عناصر: هي اللفظ والمعنى والوزن والتقفية، ثمّ يتعرّض إلى جودة كلّ عنصر من هذه العنصر ورداءته، وعن جودة ائتلافها وعيوبها. حقّق نقد الشعر عدّة مرّات، لعل أفضلها تحقيق المستشرق س.أ. بونيباكر (s.a. Bonebakker)، الّتي طبعت سنة 1956م في طبعة جيّدة بمطبعة بريل (E.J. Brill) بمدينة ليدن (Leiden).

5- عيار الشعر: مؤلّفه هو أبن الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا، وهو أحد الكتب الجليلة في النقد والبلاغة، ألّفه ابن طباطبا بناء على طلب أبي القاسم سعد ابن عبد الرحمن.، وقد تناول الكتاب حقيقة الشعر، حيث تحدّث عن مفهومه وعياره وصناعته وأدواته ومراحله وغموضه وتعقيده وإيحاءاته، محذرا من الشعر البعيد القلق، وعن بناء القصيدة من حيث حسن الاستهلال والتخلّص. كما ركّز بشكل واضح على التشبيه وضروبه وأدواته وطريقة المولّدين في بنائه، واقفا عند قضية المعاني والألفاظ، والسرقات الشعرية الّتي أسماها بالمعاني المشتركة. ويبدو- كما يقول إحسان عبّاس أنّ ابن طباطبا استفاد من مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة، كما استفاد من الثقافة الاعتزالية في عصره. ولقد تأثر كثيرون بالعيار، ومنهم التوحيديّ فأكثر النقل عنه في "البصائر" وفي "المنتزع". ولعلّ أفضل تحقيق للكتاب قام به عبد العزيز بن ناصر المانع، في طبعة جيّدة نشرتها دار العلوم للطباعة والنشر بالمملكة السعودية، سنة 1405هـ/1985م

6- الموازنة بين الطائيين مؤلّفه أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي **الآمدي،** ويعدّ كتاب الموازنة من أمهات كتب النقد الأدبي التي استقرت فيها أصول النقد العربي، ويحتوي الموازنة على خمسة أقسام يضمّ القسم الأول آراء النقاد في شعر أبي تمام والبحتري، مع استقصاء لرأي المتعصبين لهذا أو لذاك، أمّا القسم الثاني

---

[2]- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، سنة 1981، ص272.

[3]- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة2007، ص61.

[4]- ابن المعتّز: البديع، تعليق: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3(1982)، ص01.

[5]- نفسه، ص61.

فخصّه لذكر أخطاء أبي تمام في اللفظ والأسلوب والمعنى، وخصّ القسم الثالث لذكر استعاراته المستهجنة، وطباقاته المستكرهة وسوء نظمه، وتعقيد تركيبه، ووحشي ألفاظه، وكثرة زحافاته، وأفرد القسم الرابع لتحليل عيوب شعر البحتري، وانتهى في القسم الخامس إلى الموازنة بين الشاعرين في المعاني التي اتفق موضوعها في شعرهما .وقد عدّ هذا القسم أهمّ أقسام كتابه لصعوبة نقد الشعر. ولقد زعم الآمدي أنّه سيكون منصفا في الموازنة بين الشاعرين فقال: فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر"، ولكنّك تجده، بعد ذلك، متعصبا للبحتري، إذ أنّه لما أتي إلى ذكر عيوب البحتري قال: "أما مساوئ البحتري، فقد دققت واجتهدت أن أظفر له بشيء يكون بإزاء ما أخرجته من مساوئ أبي تمام (...) فلم أجد في شعره لشدة تحرزه، وجودة طبعه، وتهذيبه لألفاظه من ذلك إلا أبياتاً يسيرة) ولم يذكر من سقطاته غير ثماني سقطات. ولعلّ أفضل تحقيق لكتاب الموازنة قام به محمد محيي الدين عبد الحميد، وطبع في المكتبة العلمية في بيروت سنة 1363هـ/1944م

7- العمدة في محاسن الشعر وآدابه:: وهو أشهر مؤلفات ابن رشيق القيرواني، التي تنيف على ثلاثين كتابًا، وفي هذا الكتاب نجد 59 بابًا في فصول الشعر وأبوابه، و39 بابًا في البلاغة وعلومها، و9 أبواب في فنون شتى، **ومن** أبوابه الممتعة باب سرقة الشعر وأنواعها. **وقد ألف** ابن رشيق عمدته ما بين سنة 412 و425 هـ وأهداه لأبي الحسن بن أبي الرجال الشيباني مربّي المعزّ بن باديس، ورئيس ديوان كتّابه الذين كان منهم ابن رشيق، ورجع فيه إلى ما ينيفَ على الثلاثين كتابًا غير الدواوين، منها كتب ضاعت بتمامها؛ كطبقات الشعراء لدعبل، والأنواء للزجاجي، وعلى العمدة معوَّل كل من طرق هذا الباب من الكتّاب، وقد نقل منه ابن الأثير في كتابه (كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب) مائة وإحدى عشرة صفحة كاملة، وللعمدة نسخ مخطوطة في الكثير من مكتبات العالم، إلا أن أقدمها لا يتجاوز عام 679 هـ، وقد أتى على وصفها ووصف طبعات الكتاب منذ طبعته الأولى بتونس سنة 1865م الدكتور محمد قرقزان في طبعته المميزة للعمدة، وأشار في مقدمتها إلى عثرات ابن رشيق وأخطائه وأوهامه، وأتبع ذلك بذكر ما لحق طبعاته المختلفة من التصحيفات والتحريفات، ولابن رشيق كتاب يعتبر بمثابة الذيل للعمدة، سماه: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب.

8- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: مؤلّفه هو ضياء الدين بن الأثير، يعدّ هذا الكتاب من أبرز الكتب النقدية في العصر الأيوبي، ولاسيّما أنّ صاحبه من أشهر الكتّاب والنقاد في ذلك العصر، وقد جمع في هذا الكتاب فنون البلاغة في الأدب. ولاقى هذا الكتاب قبولاً في الوسط النقدي منذ ذلك الحين، لكنّه في الوقت نفسه لاقى هجوماً من أطراف أخرى، وقد كان ذلك ردّ فعلٍ على ابن الأثير الذي حاول أن يكون مبدعاً أكثر منه متّبعاً، لكنّ نشاطه النقدي بقي في دائرة التراث النقدي عموماً، وإنّ سمات التفرد أو تحقيق الإضافة لم تكن إلّا في نطاق الذوق الفردي الذي لا يرقى إلى إنتاج مفهومات نظرية حادثة. ومن ثَمَّ فإنّ جهوده لم تتكشّف عن طابع منهجي منظّم، ومن هنا نجد اختلاط المستويات بين الاتّباع والابتداع، وهذا يترجم عن رؤية نظرية غير متماسكة، تفتقر إلى الاتّساق الداخلي، وتبدو قاصرة عن النهوض ببناء منظور متكامل ورؤية منظمة .

عنوان [redacted]: المجامع الشعرية القديمة
(المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب)

تمهيد:

بعد عملية الجمع الواسعة التي قام بها الرعيل الأول من الرواة من أمثال عمرو بن العلاء، وحماد راوية الشعر الجاهلي والإسلامي اتجه الجيل الثاني في عملية التدوين والتصنيف إل ثلاثة اتجاهات:

. تصنيف دواوين الشعراء من الجاهليين والإسلاميين

. تصنيف دواوين القبائل.

. اختيار أروع ما تضمنه الشعر الجاهلي والإسلامي من قصائد ويصنف ذلك في منتخبات أو مختارات.

والمنتخبات أو المختارات هي مصنفات شعرية تختلف من حيث المنهج والغاية عن الدواوين؛ إذ لا تعتني بجمع شعر شاعر واحد أو شعر قبيلة إنما هي مجموعة أشعار يصدر جامعها من مبدأ أساسي وهو أن تكون قصائدها طرازا عاليا من الشعر، أو مصورة للمثل الأعلى الشعري في غرضها لذلك تقسم المنتخبات من حيث منهجها وأسلوب تصنيفها إلى قسمين رئيسين:

. قسم يعتمد على مقياس الجودة للاختيار دون التقيد بأي تصنيف موضوعي.

. قسم يلتزم منهج الغرض أو الموضوع في التصنيف.

والجدير بالذكر أنّ الغاية من المنتخبات لم تكن جمع الشعر وضبطه، بل كانت في الغالب تنتخب من مجموع المادة الشعرية المدونة، وكانت هذه المادة المدونة منذ البداية هي أشعار الجاهليين والإسلاميين لذلك فإنّ من الطبيعي أن تتناول المختارات الأولى الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي.

ويبدو أنّ لهذه المجموعات فائدة تختلف عن فائدة الدواوين؛ لأنّ الديوان ضيق الأفق، ويختص بموضوع محدد إذ يفيد في دراسة شاعر بذاته أما المختارات فهي أوسع أفقا تتنوع موضوعاتها ويتعدد شعراؤها، فتصويرها للحياة الفنية أكمل، كما أنها تدل على ذوق العصر الذي تصنف فيه، وعلى ذوق مؤلفها، ومن أشهر المصنفات:

أولا . المفضليات:

تُنسبُ هذه المختارات إلى المفضل الضبي . وتاريخ ميلاده غير معروف . وإن كان المرجح أن يكون ميلاده في أواخر العقد الأول من القرن الثاني. توفي عام 178هـ.

والمفضل الضبي من جيل الرواة العلماء الأول، وهو رأس مدرسة الكوفة، ولكنه ورد كذلك على البصرة فأخذ عنه علماؤها. قال ابن سلام الجمحي:" وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي"

كان راوية عالما بأخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها، وقد أخذ عنه كثيرون وفي مقدمتهم: الفراء، والكسائي، وابن الأعرابي.

وإليه ينتهي إسنادُ كثير من الروايات الشعرية لدواوين الشعراء ودواوين القبائل على السواء.

1 . اختيار المجموعة الشعرية

أما كيف اختار المفضل الظبي القصائد فلذلك قصة.

فقد كان أبو حماد إبراهيم علي بن أبي طالب قد خرج في البصرة على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وخرج معه كثير من العلماء منهم المفضل، ولكن المنصور ظفر بإبراهيم أخيرا ونكل به وبأهله، وكان إبراهيم يتخفى ذات مرة عند المفضل، وكان المفضل يتركه ويخرج،وفي إحدى المرات كان عليه أن يخرج إلى ضيعة له لبضع أيام فقال له إبراهيم: إنك إذا خرجت ضاق صدري، فأخرج إليّ شيئا من كتبك أتفرج به، فأخرج المفضل إليه كتبا في الشعر والأخبار يقال إنها كانت ملء قمطرين. فلما عاد وجده قد علّم سبعين قصيدة اختارها. وكان له ذوق حسن في الشعر، ويبدو أنّ المفضل استخرج هذه القصائد السبعين ثم زاد عليها عشرا فيما بعد. فإنه عندما ظفر المنصور بإبراهيم ظفر كذلك بالمفضل، ولكنه عفا عنه، وألزمه ابنه وولي عهده المهدي يؤدبه. وقد قدم المفضل لتلميذه القصائد الثمانين فقرأها هذا عليه، ثم قرئت هذه القصائد نفسها على المفضل بعد ذلك ونُسبت إليه وعرفت باسمه.

وتضمّ النشرة العلمية للمفضليات مائة وثلاثين قصيدة (130)، وقد كان المعروف منها إلى عهد ابن النديم مائة وثمانية وعشرين (128) قصيدة قد تزيد وقد تنقص.

ومعظم شعراء هذه المجموعة جاهليون، وقليل منهم مخضرمون، وأقل منهم إسلاميون.

وتضمّ هذه المجموعة أربعين (40) مقطوعة لا يزيد عدد أبيات كل منها عن عشرة، وثلاثا وأربعين قصيدة (43) قصيدة يتراوح عدد أبيات كل منها بين 11 و20 بيتا، و إحدى وعشرين (21) قصيدة تتراوح بين (21) و (30) بيتا، وعشر قصائد (10) قصائد تتراوح بين (31) و(40) بيتا، وسبع قصائد (7) تتراوح بين (41) و(50) بيتا، وثماني (8) قصائد مطولات تتراوح بين (51) و (108) بيتا وأطول قصيدة في هذه المجموعة هي قصيدة (سُويد بن أبي كاهل) وعدتها مائة مائة وثمانية (108) أبيات.

ومن الواضح أنّ هذه المجموعة تضمّ العدد الأكبر من القصائد الكاملة؛ بل لعلّ القصائد الكاملة هو هدفها الأول.

وإلى جانب عمد المفضل إلى اختيار القصائد لا نجده يورد للشاعر الواحد أكثر من ثلاث قصائد إلا في النادر. وهذا معناه أنه لم يقيد نفسه بعدد ثابت مما يختاره من كل شاعر؛ بل كان يتحرك في شعره بحرية فيختار أفضل ما عنده، وكذلك لم يحدد المفضل اختياره بالأشعار التي قيلت في موضوع أو مواضيع بعينها؛ بل كان طليقا في هذا الاختيار.

2 . قيمة المفضليات:

للمفضليات قيمة تاريخية وأدبية كبيرة ولم يكن رواجها بين الناس في عصر المفضل وفي العصور التالية إلا نتيجة لاستشعار الناس هذه القيمة.

أما من الناحية التاريخية فإنه أول كتاب كبير يضم مختارات من عيون الشعر القديم، الجاهلي، والمخضرم، والإسلامي بروايات موثوق بها.

وأما من الناحية الأدبية فإنها تضم قصائد كاملة كانت تُعدُّ أروع ما في الشعر القديم من قصائد؛ أي أنها تعكس لنا المثل الشعري الأعلى في التصور والذوق العربي.

وللأهمية التي بلغتها المفضليات ظفرت في عصر الشروح باهتمام كثير من الشراح. وأول من شرحها الأنباري (ت 305 هـ) ويليه شرح أبي جعفر النحاس (ت 338 هـ) ثم شرح أبي علي المرزوقي (ت 421 هـ)

ثانيا: الأصمعيات

الأصمعيات هو الكتاب الذي ينسبُ إلى الأصمعي المولود سنة 122 أو 123 هـ وتوفي بالبصرة سنة 216هـ.

وهو من الرعيل الأول من الرواة العلماء بالبصرة، غزير المحفوظ والرواية، عالم بالشعر لا يشق له غبار. وقد سمع من أبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية وحماد بن زيد وغيرهم من الرواة العلماء، كما سمع من الأعراب ومن الشعراء مباشرة. وقد كان من الطبقة الأولى من الرواة العلماء الذين ينتهي عندهم الإسناد في كثير من الأحيان.

والمؤلفات التي تروى للأصمعي كثيرة . سوى الأصمعيات . وقد طُبع منها: كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الإبل، كتاب الشاء، كتاب الأضداد، كتاب القلب والإبدال، كتاب فحولة الشعراء.

1 . المختارات الشعرية:

الأصمعيات كتاب على نسق المفضليات، يضمّ مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي. تبلغ اثنين وتسعين قصيدة ومقطعة لواحد وسبعين شاعرا منهم أربعة وأربعون (44) شاعرا جاهليا وهم الأغلبية، وأربعة عشر (14) شاعرا مخضرما، وستة (6) شعراء إسلاميين وسبعة (7) مجهولون. ومن مجموع هؤلاء الشعراء أربعة وخمسون (54) شاعرا أورد الأصمعي لكل منهم نموذجا واحدا، وأربعة عشر (14) شاعرا أورد لكل منهم نموذجين، وشاعران أورد لكل منهما ثلاث (3) قصائد.

ومن القصائد والمقطعات الاثنتين وتسعين (92) التي تضمها الأصمعيات اثنتان وأربعون (42) مقطعة تتراوح الأبيات فيها بين بيتين وعشرة، وعشرون (20) قصيدة تتراوح الأبيات فيها بين 11 و20 بيتا، وثماني عشرة (18) قصيدة تتراوح الأبيات فيها بين21 و30بيتا، وعشر (10) قصائد تتراوح بين 31 و40 بيتا، وقصيدتان اثنتان إحداهما 43 بيتا والأخرى 44 بيتا. ومجموع أبيات الأصمعيات 1442 بيتا وهي تزيد قليلا عن نصف عدد أبيات المفضليات.

وبتحليل هذه الأرقام جميعا يتضح لنا أنّ الأصمعي سار على نهج المفضل في الاهتمام بالشعر الجاهلي؛ ولكن نسبة عدد المقطعات عنده كبيرة، هذا فضلا عن أنّ أطول قصائد الأصمعي لم تتجاوز أربعة وأربعين (44) بيتا، في حين نيفت بعض قصائد المفضليات على مائة (100) بيت، وتجاوز عدد لا بأس منها خمسين (50) بيتا.

ولعل هذا ما جعل ابن النديم يصف الأصمعيات بأنها ليست بالمرضية عند العلماء، معللا ذلك بقلة ما فيها من الغريب، وباختصار روايتها.

وأمام التداخل الكبير بين المفضليات والأصمعيات، ولأنّ النسخة الخطية التي طبعت عنها الطبعة الأوربية من الأصمعيات، وكذلك المخطوطة التي طبعت عنها طبعة دار المعارف مصر ليس بهما إسناد يوضح طريق روايتهما عن الأصمعي فليس هناك ما يدل على أنّ الأصمعي قد قصد قصدا إلى تصنيف مجموعة من القصائد يختارها على غرار ما صنع المفضل، وأنه قصد إلاّ التوسع في مجموعة المفضل.

2 . قيمة الأصمعيات:

أيا كانت الحقيقة فإنّ الأصمعيات لم تبلغ شهرة المفضليات، ولم تظفر في عهد الشروح باهتمام الشراح مثلما حدث بالنسبة للمفضليات.

على أنّ الأصمعيات تشتركُ مع المفضليات في خلوها من أيّ إشارة إلى أسباب الاختيار ووجه التفضيل لما تضمنت من أشعار.

ثالثا: جمهرة أشعار العرب

ينسبُ كتاب جمهرة أشعار العرب إلى أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، وهو شخصية مجهولة لم يترجم لها أحد من كتاب التراجم القدماء، وأول من أشار لها هو ابن رشيق (ت 463هـ) في كتابه العمدة. كما ذكره السيوطي في كتابه المزهر ، وأشار إليه البغدادي في الخزانة.

اختلف الدارسون المحدثون في الفترة التي عاش فيها القرشي، ولكن من المحتمل أن يكون قد عاش في المنتصف الثاني من القرن الثالث للهجرة، وشهد طرفا من القرن الرابع للهجرة.

1 . مميزات كتاب الجمهرة:

يتميز كتاب جمهرة أشعار العرب عما تقدمه من مصنفات بأمرين، وهما:

مقدمة الكتاب النقدية، والتبويب الدقيق.

أ . مقدمة الكتب:

يقول القرشي:" هذا كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، الذين نزل القرآن بألسنتهم، واشتقت العربية من ألفاظهم، واتخذت الشواهد في معاني القرآن، وغريب الحديث

من أشعارهم، وأسندت الحكمة والآداب إليهم، تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي. وذلك أنه لم يوجد أحد من الشعراء بعدهم إلا مضطرا إلى الاختلاس من محاسن ألفاظهم، وهم إذ ذاك مكتفون عن سواهم بمعرفتهم، وبعد فهم فحول الشعراء الذين خاضوا بحره، وبعُد فيه شأوهم، واتخذوا له ديوانا كثرت فيه الفوائد عنهم، وأولا أن الكلام المشترك لكانوا قد حازوه دون غيرهم، فأخذنا من أشعارهم، إذ كانوا هم الأصل، غررا من العيون من أشعارهم، وزمام ديوانهم"

. يقارن القرشي بعد الاستهلال بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، ويبين بأن القرآن الكريم لم يأتِ بلغة جديدة، وأنّ كل ما فيه من مجاز غريب قد استعملته العرب يقول:" ونحن ذاكرون في كتابنا هذا ما جاءت به الأخبار، والأشعار المحفوظة عنهم، وما وافق القرآن من ألفاظهم"

. يذكر القرشي في مقدمة الجمهرة رأي النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر، يقول:" ...وما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الشعر والشعراء، وما جاء عن أصحابه والتابعين من بعدهم، وما وصف به كل واحد منهم..."

. يتحدث القرشي عن أول من قال الشعر، ونسب أبياتا إلى سيدنا آدم، وإلى إبليس، وبعض الجن، يقول:" وأول من قال الشعر، وما حفظ عن الجن، وما توفيقي إلا بالله..."

ب . أقسام الكتاب:

قيّد القرشي اختياره باختيار قصيدة واحدة لكل شاعر من الطبقات السبع، فبلغ مجموع القصائد تسعا وأربعين قصيدة لتسعة وأربعين شاعرا.

قسّم القرشي محتويات مختاراته إلى سبعة طبقات متدرجة زمانيا، وقد وضع في كل طبقة سبعة قصائد:

الطبقة الأولى: أصحاب المعلقات وهم

امرؤ القيس، وزهير، والنابغة الذبياني، والأعشى، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة بن العبد.

الطبقة الثانية: أصحاب المجمهرات* وهم

عنترة بن شداد، وعبيد بن الأبرص، وعدي بن زيد، وبشر بن أبي حازم، وأمية بن أبي الصلت، وخداش بن زهير، والنمر بن تولب.

---

* - المجمهرات : هي القصائد المحكمة السبك.

الطبقة الثالثة: أصحاب المثقبات وهم

المسيب بن علس، والمرقش الأصغر، والملتمس، وعروة بن الورد، والمهلهل بن ربيعة، ودريد بن الصمة، والمنتخل بن عومير الهذلي.

الطبقة الرابعة: أصحاب المذهبات وهم

حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، ومالك بن العجلان، وقيس بن الحطيم، وأحيحة بن الجلاح، وقيس الأسلت، وعمرو بن امرىء القيس.

الطبقة الخامسة: أصحاب المراثي وهم

أبو ذؤيب الهذلي، ومحمد بن كعب الغنوي، وأعشى باهلة، وعلقمة بن جدن الحميري، وأبو زيد الطائي، ومتمم بن نويرة اليربوعي، والشماخ بن ضرار، وعمرو بن أحفر، وتميم بن مقبل العامري.

الطبقة السادسة: أصحاب المشوبات* وهم

نابغة بن جعدة، وكعب بن زهير، والحطيئة، والشماخ بن ضرار، وعمرو بن أحشر، وتميم بن مقبل العامري.

الطبقة السابعة: أصحاب الملحمات* وهم

الفرزدق، وجرير، والأخطل، وعبيد الراعي، وذو الرمة، والكميت بن زيد الأسدي، والطرماح بن حكيم الطائي.

الملاحظ أنّ عناوين الطبقات هي من حيث دلالاتها صفات للقصائد، هذه الصفات هي عامة غير متمايزة باستثناء المراثي التي تمثل موضوعا متجانسا.

نلاحظ كذلك الميل الواضح للتقسيم السباعي، نرى في التقسيم أنه ينطلق من مبدأ نقدي وهو مبدأ الطبقة، نراه أيضا يعتمد على مبدأ الفحولة.

المصادر والمراجع:

1 . طبقات الشعراء: ابن سلام الجمحي، مصر، دط، دت.

2 . جمهرة أشعار العرب: القرشي، دار صادر، بيروت، دط، 1963م.

* - المشوبات: هي القصائد التي شابها الكفر والإسلام.

* - الملحمات: هي القصائد الملتحمة في نظمها.

3 . الفهرست: ابن النديم، دار المعارف، مصر، دط، دت.

4 . الأصمعيات: دار المعارف، مصر، ط3، دت.

5 . المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربيز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، القاهرة، دط، دت.

6 . محاضرات في مصادر اللغة والأدب: محمد تحريشي، ولطفي بوقربة، جامعة بشار.